رجل بلا وجه

محمود سالم

رجل بلا وجه

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

رجل بلا وجه

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٦٣٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
أسئلة كثيرة ... بلا إجابات!	١١
«هدى» و«عثمان» ... يبدآن تنفيذ الخطة!	١٧
«هدى» ... تسبب قلقًا للشياطين!	٢٣
ثم بدأت ... المواجهة!	٢٩
المعركة ... داخل المتحف!	٣٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

أسئلة كثيرة ... بلا إجابات!

اقترب «قيس» في نشاطٍ، وهو «يفرك» يديه، وقال: ماذا سنفعل اليوم؟

نظر الشياطين في دهشةٍ، ماذا يعني بسؤاله؟ وجلس وهو يقول: أليس اليوم عطلةً؟

كانت هذه الجملة كافيةً لأن يَضحكوا في عمق، ونظرت «إلهام» إلى «أحمد» مبتسمة، فوجدته غارقًا في التفكير ...

كان «أحمد» ينظر من خلال الشرفة الزجاجية الواسعة، وقد تعلقت عيناه بالسماء، التي كانت تبدو زرقاء تمامًا في هذا الصباح.

رفعت «إلهام» صوتها وهي تقول: ألم تَسمع ماذا قال «قيس»؟

لم يَلتفِت «أحمد»، فأعادت «إلهام» سؤالها، حتى إن بقية الشياطين نظروا في اتجاهه.

قالت «ريما»: يبدو كأنه يعدُّ خطةً لمغامرةٍ جديدةٍ.

ابتسم «أحمد» دون أن ينظر إليها، فقالت «إلهام»: إنَّ «أحمد» يتمتَّع بقدرة غريبة على استخدام حواسه جميعًا في وقت واحد.

قال «أحمد» مبتسمًا: من حق «قيس» أن يقول جملته هذه، وأن يستمتع بيوم إجازة ... فنحن عائدون من مغامرة. وغير أن ابتسامته لم تكن تحمل نفس المعنى ... لقد كانت تعني شيئًا آخر.

قال «عثمان»: أعتقد أن إجازتنا تبدأ مع كل مغامرة وعندما تنتهي يبدأ العمل. فضحكوا جميعًا.

وقالت «زبيدة»: إنَّ «عثمان» على حق فالإنسان يقوم بإجازته، سعيًا وراء المتعة، وغالبًا ما يقضيها في السفر أو الانشغال بأشياء جديدة. وهذا ما نفعله دائمًا.

وبدأ الجدل حول مفهوم الإجازة، وكيف يُمكن قضاؤها غير أن «خالد» قطع الحديث عندما قال: الأهم أن تسمعوا ما قرأته بالأمس، عن الإنسان الآلي، الذي بدأ يأخذ مكان الإنسان البشري، حتى إنَّ مؤسسات كاملة الآن، يُديرها هذا الإنسان الجديد.

وتحول الحديث كلية إلى الإنسان الآلي، وكان «أحمد» يرقب الحديث باهتمام، مما جعله يقول في النهاية: إن اليابان، طورت الإنسان الآلي، فجعلته ذا ذاكرة. إنها تستطيع أن تلقنه أشياء، ثم تتركه يعمل، دون الحاجة إلى معونة من أحد، وأعتقد أن هذه هي الثورة الصناعية الجديدة.

وهكذا استمر الحديث غير أن «عثمان» قال بطريقته الساخرة: ربما يظهر شياطين آليون قريبًا، وتصبح هذه مشكلتنا.

ضحك الشياطين، إلا أن ضحكهم لم يَستمر؛ فقد انسابت موسيقى هادئة، جعلتهم يَلتفتون إلى مصدرها.

فقالت «إلهام» مُبتسِمة: إنَّ الإجازة قد بدأت بمفهوم «عثمان».

لقد كانت الموسيقى تعني أن على الشياطين أن يستعدوا ولذلك فقد صمتوا جميعًا، في انتظار أمر الاستدعاء …

وطالت فترة الصمت، دون أن يظهر جديد يَستدعيهم؛ فقام «قيس» وأحضر رقعة الشطرنج، ثم نظر إلى «باسم» الذي انتقل إليه بسُرعة لقد كانت بينهما مباراة لم يُكملاها بعد، وكانت هذه فرصة، ليستغرقا فيها … بدلًا من الانتظار …

ثم انضمَّت «إلهام» إلى «قيس»، وانضمَّت «ريما» إلى «باسم»، لقد كان كل اثنين يمثلان فريقًا في صراع الشطرنج.

في نفس الوقت، استمرَّ بقية الشياطين في حوارهم من جديد، حول الإنسان الآلي ومستقبله … إلا «أحمد» الذي ظلَّ مُستغرقًا في تفكيره، وكانت «إلهام» تنظر في اتجاهه بين كل فترة وأخرى، فترى وجهه الهادئ المتأمل ينظر إلى السماء … فجأة وقف طائر أبيض على حافة الشرفة، مما جعل «أحمد» يَلتفِت إليه، وكأن الطائر كان يقصد شيئًا، فقد ظلَّ هو الآخر ينظر إلى «أحمد» مما جعله يبتسم. غير أن الطائر لم يقف طويلًا؛ فقد نقر الزجاج بمنقاره، ثم طار مختفيًا.

في نفس اللحظة، دق جرس متقطِّع … وكان هذا يعني أن الاجتماع بعد خمس دقائق.

صاح «باسم»: كش.

فتنفَّس «قيس» في عمق، وأسرع «مصباح» عند سماع صيحة «باسم» وألقى نظره على رقعة الشطرنج، لقد كانت لعبة «باسم» ذكية بما يَكفي لأن يكسب الدور … إلا أن

«قيس» لا يَستسلِم بسهولة، فنظر في ساعته وكأنه يُعطي نفسه فرصة للتفكير، أو تأجيل المباراة، وكان هذا ما حدث فعلًا؛ فقد رنَّ جرس آخر، جعل الشياطين يتَّجهون جميعًا إلى قاعة الاجتماعات ...

دخلوا الواحد بعد الآخر، وأخذوا أماكنهم. كانت القاعة هادئة الضوء ... وعلى الحائط المقابل، تظهر الخريطة الإليكترونية، غير أنها كانت بلا تفاصيل. إن الشياطين يعرفون، أن صورة الخريطة هي دائمًا بداية كل مغامرة؛ ففوقها تظهر جغرافية المكان الذي سيتحرَّكون إليه، ولذلك ظلت عيونهم معلَّقة بها. ورغم أن عدة دقائق قد مرت، إلا أنَّ شيئًا لم يظهر على الخريطة، حتى إنهم ظنوا أن المُغامَرة قد تكون داخل المنطقة العربية.

همس «خالد»: ربما نطير إلى الكويت أو السعودية.

رد «رشيد»: ولماذا لا تكون المسألة هنا.

ظهر التفكير العميق على وجوه الشياطين، إلا «أحمد» الذي كان يَرقُبهم في هدوء. غير أن تفكيرهم لم يستمر؛ فقد بدأت خطوات رقم «صفر» تقترب، كانت خطوات متمهِّلة، وكأنه يفكر في شيء ما، أو يقرأ شيئًا ... اقتربت الخطوات أكثر فأكثر، حتى توقفت في نفس الوقت الذي أضيئت فيه الخريطة ... حتى إن أضاءتها لفتَت نظر الشياطين ... غرقت الخريطة في اللون الأزرق، فعرفوا أن ذلك يعني، أن المكان الذي سيذهبون إليه سوف يكون قريبًا من المحيط أو البحر.

لحظة، ثم جاء صوت رقم «صفر» الذي رحَّب بهم، ثم قال بصوت ظهرت فيه ابتسامة: ها أنتم تعودون من إجازة، لتبدءوا إجازة أخرى.

نظر الشياطين إلى «عثمان» والذي ابتسم بدوره ابتسامة عريضة.

قال رقم «صفر»: إنها مسألة مدهشة على كل حال. لكنها جذابة في نفس الوقت، ومُثيرة أيضًا.

صمت قليلًا، حتى يُعطي فرصة للكلمات كي يصل وقعها إلى نفوس الشياطين ... ثم قال: إن عصابة «سادة العالم» تلعب لعبة جديدة ... إنها تجمع عددًا من علماء العالم، وتقوم بتهريبهم من بلادهم. ورغم أن حكومات هذه البلاد، تعرف هذه الحقيقة إلا أنها فشلت في إيقاف تهريب العلماء. إن هناك حصارًا مضروبًا في مطارات هذه الدول، وفي موانيها، وكذلك في الطرق البرية التي تخرج منها. ومع ذلك يَختفي العلماء. وأنتم تعرفون ماذا يعني اختفاء عالم.

سكت مرة أخرى.

كان الشياطين يستمعون إليه في تركيز واهتمام. ثم ظهرت المملكة المتَّحدة فوق الخريطة ... جزيرة وسط المياه الزرقاء. يحدها من الشرق بحر الشمال، ومن الغرب المحيط الأطلنطي ... ومن الشمال بحر النرويج، ومن الجنوب بحر المانش. وفي غرب المملكة كانت تظهر أيرلندا، التي يفصلها عن المملكة البحر الأيرلندي، ومضيق سان جورج.

ظلَّ الشياطين يتأمَّلون تفاصيل الخريطة ... وقطع تأملهم صوت رقم «صفر» يكمل حديثه: إن هناك مؤتمرًا عِلميًّا في المملكة المتحدة، يحضره علماء من جميع أنحاء العالم، غير أن العلماء ليسوا جميعًا هدفًا هذه المرة ... ولكن عالم الذرة «د. جاسبروور» هو وحده الهدف، إنه عالم فرنسي ... يحضر المؤتمر، وهناك طبعًا حراسة شديدة حوله ولكن من يدري، ماذا يمكن أن يفعلوا.

صمت رقم «صفر»، فنظر الشياطين إلى بعضهم. إنَّ المسألة إذن، هي خطف «د. جاسبروور» عالم الذرة. وهم سوف يَشتركون في حراسته، أو ربما تكون مهمَّتهم بعد ذلك.

قطع رقم «صفر» تفكيرهم قائلًا: إن المسألة ليست هي خطف «جاسبروور» فهذه مسألة عادية ... إن المسألة أنه سوف يخرج من إنجلترا، بشكل عادي. وهذه هي المسألة الهامة.

فكر الشياطين بسرعة، ما دامت هناك حراسة مشدَّدة على العلماء، فكيف يمكن خطفه إذن، وحتى إذا خطفوه، فكيف يُمكن خروجه من إنجلترا، بطريقة عادية؟ هل يُخفونه في صندوق مثلًا، أو سيارة، أو أي شيء آخر؟ إن هذه الطريقة يُمكن كشفها!

ولم يستمرَّ تفكير الشياطين؛ فقد أكمل رقم صفر: إن هناك طبيب تجميل يعمل مع عصابة «سادة العالم». وهو يُعتبر أبرع طبيب تجميل في العالم، وهو ليس رجلًا سيئًا غير أنه سوف يقوم بمهمَّته تحت ضغط العصابة. فإما تنفيذ ما يريدونه، أو قتله.

سكت رقم «صفر»، بينما غرق الشياطين في التفكير ... إن هذه المغامرة جديدة في النهاية فسوف يُجري الطبيب، عملية تجميل للعالم الذري، لكن، حتى هذه المسألة يمكن كشفها ... مرة أخرى قال: إن الطبيب اسمه «روبرت كيم». وعيادته تقع في «بارك ستريت» أو شارع «بارك». إن عملاءنا في المملكة المتحدة أرسلوا إلينا تفاصيل ما سوف يحدث. وهذه معلومات لا يعرفها أحد غيرنا، كما تعلمون.

لم يَكمل رقم «صفر» كلامه، فقد سمع ثلاث دقات متوالية سريعة، جعلته يقول: معذرة لحظة واحدة.

عرف الشياطين أن هناك رسالة عاجلة في الطريق إلى المقرِّ السريِّ.

كانت أقدام رقم «صفر» تبتعد في سرعة غير طبيعية، وكان هذا يعني أن الرسالة عاجلة جدًّا، وهامة أكثر.

قال «بو عمير»: تبدو المسألة غامضة. فهناك حراسات متعدِّدة حول العلماء، فمن المؤكَّد أن كل عالم جاء من بلده بحراسته. بجوار الحراسة المفروضة في إنجلترا ذاتها.

قال «مصباح»: المسألة ليست الخطف؛ فالعصابة تستطيع تنفيذ ذلك بالتأكيد المسألة ما بعد الخطف ...

تلك العملية التجميلية التي تحدث عنها رقم «صفر». قطع حديثهم صوت أقدامه القادمة في هدوء ثقيل واقترب حتى توقف، وقال: لقد خطفوا «جاسبروور».

ساد صمت ثقيل، بينما تلاقت أعين الشياطين في دهشة هل يمكن أن يتم ذلك بكل هذه السرعة؟ لكن الشياطين يعرفون جيدًا، أن عصابة «سادة العالم» لها من القوة والذكاء، ما يمكنها من أن تحقق ذلك فعلًا.

قطع الصمت سؤال لـ «ريما»: هل يمكن أن نعرف كيف خطفوه.

عاد الصمت مرة أخرى، ولم يجب رقم «صفر» بسرعة.

لقد مرَّت لحظات قبل أن يقول: برغم أن هذه ليست القضية الهامة، إلا أنني سأقول لكم. لقد اندسَّ رجال العصابة بين الحرس، واستطاعوا خطف «جاسبروور». لقد رسموا خطة جيدة؛ ففي الفندق الذي ينزل فيه، كان يقيم معه حراسه الفرنسيون، غير أنهم استطاعوا أن يتخلَّصوا منهم وببساطة طبعًا اصطحبوه كالعادة إلى المؤتمر وعندما انتهى من الجلسة، رافقوه بصورة عادية إلى الفندق ... لكنهم في الطريق اختفوا به، إنَّ ذلك لم يُعلَن في إنجلترا حتى الآن ... فهم يتكتَّمون الخبر، حتى يعثروا عليه ... وقد ادَّعوا أنه مريض، وأنه يعتذر عن حضور بعض الجلسات، إنهم يحاولون أن يعطوا لأنفسهم وقتًا للبحث عنه ... وقد أبلغوا جميع المطارات والموانئ والطرق بشكل سري، مع نشرة بأوصاف وصورة «جاسبروور» ... لقد حدث ذلك أمس فقط ... ثم صمت رقم «صفر».

كان الشياطين ينظرون إلى بعضهم دون أن يكون هناك شيء مشترك في تفكيرهم سوى سؤال: هل تمت عملية التجميل؟ وهل يُمكن أن تغير ملامح العالم؟

بعد لحظات قال رقم «صفر»: إن عملية التجميل، ليست مجرد إخفاء بعض ملامحه ... إنها يمكن أن تكون عملية تغيير كاملة، إن أوصاف «جاسبروور». تقول إنه ليس وسيمًا تمامًا، وإن كان يتمتع بجاذبية في عامه الستين ... ليس طويلًا، وإن كان أيضًا يميل إلى

القصر. وممتلئًا بعض الشيء ... قوي البُنيان، أزرق العينين ... أشيب الشعر، خلع ضرسين فقط من فمه، واحد في الجانب الأيمن السُّفلي، والآخر في الجانب الأيسر العلوي.

صمت لحظة، ثم قال: لكن كل هذه التفاصيل، لا تفيد في كثير. إن «جاسبروور» يمكن أن يصبح شابًّا في الثلاثين مثلًا، دون أن يعرف أحد ذلك، إلا الدكتور «روبرت كيم».

نظر الشياطين إلى بعضهم في دهشة، بينما رن جرس متقطع سريع، جعل رقم «صفر» يختفي بسرعة دون أن يقول شيئًا.

وقفزت إلى أذهان الشياطين أسئلة كثيرة. كان أهمها: هل يُمكن أن يتحوَّل «جاسبروور» إلى شاب في الثلاثين؟ وهل يمكن أن يختفيَ تمامًا؟ وهل ... وهل ... أسئلة كثيرة كلها بلا إجابات.

«هدى» و«عثمان» ... يبدآن تنفيذ الخطة!

كان الوقت يمر ببطء شديد، وهم في انتظار رقم «صفر»، في نفس الوقت الذي كانوا فيه يتمنون الانطلاق ... إن مواجهة المشكلة خير من انتظارها ...

تعلقت أعين الشياطين بالخريطة التي اختفت منها جزيرة المملكة المتحدة، وظهرت مكانها مدينة لندن وكانت الخريطة تركز على منطقة معينة، هي تلك المنطقة التي تدور فيها الأحداث ... «بارك ستريت»، شارع «كوري» ... شارع «يورك» الذي يلتقي مع شارع «كوري» ... كانت المنطقة محددة كثيرًا، بما يجعل الأحداث مركَّزة في منطقة ضيقة ... في نفس الوقت، وفي نهاية شارع «بارك»، ظهر فندق متوسط، مكتوب عليه فندق «ذي روز».

كان ظهور الفندق، علامة استفهام أخرى، تضاف إلى علامات الاستفهام الكثيرة التي ظهرت. فما معنى وجود هذا الفندق على الخريطة ... هل له صلة بالمغامرة ...؟ هل ينزل فيه أحد من أفراد العصابة ...؟

كان «أحمد» قد ألقى نظرة سريعة على الخريطة، ثم استغرق في التفكير، وحولت «إلهام» عينيها في اتجاه «أحمد»، ثم ابتسمَت، فهي تعرف أنه الآن، يرسم خطة التنفيذ. فهذه عادته مع كل مغامرة، ما إن يسمع التفاصيل، حتى يسرع في تقدير الأمور، ووضع خطة التنفيذ ... فكَّرت من الذي سوف يشترك في المغامرة هذه المرة. لقد اشتركت هي في مغامرة «الكعكة الصفراء»، عندما قامت بدور سكرتيرة «أحمد» في مكتب الشركة الوهمية في باريس. وقالت لنفسها: لقد كانت مغامرة جيدة.

قطع أفكارها صوت أقدام رقم «صفر» تقترب متمهِّلة ... ونظر الشياطين جميعًا إلى مصدر الصوت، في انتظار الأخبار الجديدة التي سوف يقولها، والتي تعني أن عليهم أن يبدءوا.

توقَّفت أقدامه، ثم قال بعد لحظة: لقد تمَّت عملية تغيير شكل «جاسبروور» أمس ليلًا ... لكنه لن يتحرَّك من المُستشفى قبل أسبوعين، بعد أن تلتئم جروحه.

سكت لحظة ثم قال: إن «جاسبروور» سوف يظل في المستشفى كما هو، وهذا يعطيكم فرصة حتى تتحركوا. إن المغامرة ليست سهلة. فسوف تواجهون عصابة «سادة العالم»، بكل ما لديها من أجهزة متقدِّمة. إن مستشفى «وور»، كما سوف تقرءون هناك، يقع في شارع «يورك» كما قلت لكم. وعلى الخريطة، يظهر مكان المستشفى الصغير، وفي نفس الشارع يقع فندق «ذي روز» الذي سوف تنزلون فيه ...

إن هناك شخصية سوف تساعدكم بعض الشيء، هي طبيبة التخدير التي كانت تعمل مع دكتور «روبرت كيم» والتي تركتْه منذ شهرين. فهذه تستطيعون أن تستفيدوا منها، واسمها «اليانور». إنها فتاة متوسطة الحجم والسن أيضًا.

بجوار أنها جميلة بدرجة كبيرة. ويبدو أن العصابة كانت وراء خلافها مع «روبرت»، حتى يكون وحده ...

سكت قليلًا ثم قال: لا شيء هناك الآن. وسوف تصلكم الأنباء التي يوفرها العملاء. وإنني في انتظار أسئلتكم.

هبط الصمت على القاعة، لم يكن أحد من الشياطين يفكر في شيء ... كل ما فكَّروا فيه، أن يبدءوا التحرُّك.

قطع الصمت صوت رقم «صفر» وهو يقول: سوف تجدون ملفًّا كاملًا يضم حياة كلٍّ من «جاسبروور» و«روبرت كيم» و«اليانور»، مع صور لهم، أتمنَّى لكم التوفيق.

أخذ صوت أقدامه يبتعد حتى اختفى تمامًا. في نفس الوقت الذي اختفت فيه الخريطة أيضًا، ومع ذلك، ظل الشياطين في أماكنهم لا يتحرَّكون ... مرت دقائق، وهم في حالة الصمت هذه.

غير أن «أحمد» وقف أخيرًا وقال: هيا بنا. إنَّ أمامنا مرحلتَين من العمل، يجب أن نبدأ من الآن.

تحرَّك من مكانه في اتجاه باب الخروج، وفي دقيقة، كانت قاعة الاجتماعات قد أصبحت خالية، كان على كلٍّ منهم الآن، أن يجهز حقيبة استعدادًا للرحيل، وفي حجرة كل منهم، عرفوا من الذي سيذهب إلى لندن هذه المرة.

كانت قائمة صغيرة موجودة فوق ملف مُمتلئ بالأوراق ... فتح «أحمد» الملف وألقى نظرة سريعة عليه، فعرف أنه يضم كل المعلومات المطلوبة، أغلق الملف: ثم قرأ القائمة كانت تضمُّ بجوار اسمه أسماء: «بو عمير» «عثمان»، «رشيد»، و«هدى».

رنَّ جرس التليفون في حجرته فرفع السماعة بسرعة، جاءه صوت «هدى»: هل أنت جاهز.

أجاب في هدوء: نلتقي هناك بعد خمس دقائق.

وضع أحمد السماعة وأسرع بالخروج، وهو يجذب حقيبته الصغيرة التي تضم كل ما يحتاجه، وعلقها في كتفه، بينما كانت يده اليُسرى تَحمِل الملفَّ المُمتلئ ... لكن جرسًا دق داخل الحجرة، جعله يعود مرة أخرى ...

رفع السماعة، فجاءه صوت رقم «صفر»: أظن أنه لا تزال هناك بعض الدقائق لقراءة الملف، قبل أن تنطلقوا.

ابتسم «أحمد»، ثم قال: هذه حقيقة.

وضع السماعة ثم جلس على طرف السرير وبدأ يقرأ بسرعة، كانت الأوراق الأولى تضم معلومات عن «جاسبروور». وجرت عيناه عليها حتى انتهى منها. ثم وصل إلى اسم «دكتور ربورت كيم» ... وأخذ يقرأ: في الأربعين من عمره، قوي البنيان، أشقر الشعر، أزرق العينين، له شارب رفيع أنيق ... يتحدَّث عددًا من اللغات، في ذراعه اليسرى وشم أخضر، رسمه عندما عاش فترة من صباه في الهند، مع والده الذي كان يعمل في السلك الدبلوماسي هناك، تخرَّج في جامعة «كمبردج»، ونال شهادة الدكتوراه في طب التجميل، ويعتبر صاحب شهرة خاصة في هذا النوع من العمليات ... كثير من زبائنه من فنانين وفنانات من بلاد كثيرة من العالم.

ظل «أحمد» يقرأ عن حياة كيم، حتى انتهى منها ثم جاء اسم دكتورة «اليانور جاكسي» طبيبة التخدير. وكانت أهم معلومة توقف أمامها أنها أنيقة إلى درجة كبيرة. وأنها تبدو وكأنها يابانية الأصل.

أنهى قراءة الملف، ثم وضعه جانبًا وشرد لحظة ثم رفع سماعة التليفون وتحدث إلى «إلهام»: سوف أفتقدك في «لندن» ... لقد كنتِ سكرتيرة ناجحة في «الكعكة الصفراء».

جاءه صوت «إلهام»: أرجو أن تكون مغامرتكم الجديدة موفَّقة. وأرجو أن تذكرني هناك.

ابتسم وقال: إنني أذكرك دائمًا.

تمنَّت له «إلهام» عودة سريعة، بعد تحقيق نجاح المغامرة فشكَرها، ووضع السماعة، تحرك خارجًا، وعندما أغلق الباب خلفه، كانت «هدى» تمرُّ مسرعة.

ابتسمت «هدى» قائلة: هل تأخرت؟

رد عليها «أحمد» بابتسامة: كان ينبغي الانتهاء من الملف أولًا.

قالت هذا ما فعلته أيضًا.

سارا معًا إلى حيث توجد السيارات. وهناك كان «عثمان» و«بو عمير» و«رشيد» في انتظارهما ... وفي دقائق، كانت الأبواب الصخرية في المقر السري تفتح في هدوء، لتخرج السيارة التي تقلهم في سرعة الصاروخ. وعندما خرجت السيارة، أغلقت البوابات بسرعة.

كان النهار قد انتصف، عندما كانوا يأخذون طريقهم إلى المطار، ليستقلُّوا الطائرة التي كانت مقاعدهم قد حجزت فيها. وعندما وصلوا كانت هناك خمس دقائق فقط، أقلعت الطائرة بعدها. وما كادت الشمس تَقترب من الأفق الغربي حتى كانت الطائرة تقترب من مطار «هيثرو».

قالت مذيعة الطائرة: إننا نقترب الآن من المطار، لكنَّنا ... لن نستطيع الهبوط ... فسوف ندور دورة، ذلك أن المطار يتعرض لعاصفة ثلجية منذ الصباح، وممرات الهبوط مغطاة تمامًا بالثلج ... إن هذه العاصفة لم تشهدها إنجلترا منذ سنوات.

سكتت لحظة ثم أضافت: أعتقد أن منظر العاصمة سيكون ممتعًا وأنتم تشاهدونها تحت أكوام الثلج.

كانت «لندن» ترقد في ساعة الغروب تحت الثلج الأبيض، وكان المنظر شاعريًّا تمامًا ... الغروب الحزين ... وذلك الوشاح الأبيض الذي تتشح به المدينة العريقة.

دارت الطائرة دورة كاملة فوق المدينة، ثم جاء صوت المذيعة: لقد أُعدت الممرات، وسوف نستطيع الهبوط. أهلًا بكم في لندن.

في هدوء نزلت الطائرة، غير أن المطر كان شديدًا جدًّا. وعندما توقفت الطائرة تسلم كلٌّ واحد من الركاب بالطو يَقيه من المطر، فلبسه. ثم نزلوا الواحد بعد الآخر، فأسرع الشياطين إلى صالة الدخول، وفي دقائق كانوا يخرجون من المطار. إلى الشارع وهناك كانت سيارة «فورد» أنيقة تقف في انتظارهم. فركبوا بسرعة، وانطلق السائق في هدوء، كان يسير ببطء، وكان صوت المطر وهو يسقط فوق السيارة كأنه المطارق ... أبرقت السماء وأرعدت، فأضاءت جوانب المدينة التي كانت هي الأخرى تغرق في الضوء.

لم يسأل السائق سؤالًا واحدًا، لقد كان يعرف إلى أين يتجه، وخلال نصف ساعة، كانت السيارة تدخل شارع «بارك»، لتقف أمام فندق «ذي روز» ... كان بعض المارة يسرعون، حتى إن أحدهم اصطدم بـ «رشيد»، ثم اعتذر، وهو مستمرٌّ في سرعته.

دخلوا بسرعة إلى الفندق، وقال «أحمد»: ١٥، و١٧ و١٩.

وفي هدوء نادى موظف الاستعلامات على العاملة، التي ابتسمت وهي تقدم المفاتيح إلى الشياطين.

بعد دقيقتين، كانوا يعقدون اجتماعًا في حجرة «أحمد» الذي كان يشاركه فيها «عثمان».

قال «أحمد»: إن خطة تحركنا تنقسم قسمين. القسم الأول سيكون حول الدكتورة «اليانور جاكسي». فهي يُمكن أن تعطينا الكثير الذي نحتاجه عن دكتور «روبرت كيم». و«هدى» سوف تفيدنا في تلك المهمة ...

دق جرس التليفون فلم يُكمل «أحمد» كلامه. ورفع «رشيد» سماعة التليفون القريب منه، ثم استمع لحظة ووضع السماعة وهو يبتسم.

قال «أحمد»: ماذا هناك؟

أجاب «رشيد»: إن الدكتورة تنتظر «هدى» بعد نصف ساعة. ثم نقل إليهم تفاصيل المكالمة، لقد أعلنت الدكتورة «اليانور جاكسي» عن حاجتها إلى فتاة تُصاحب والدتها المريضة، وترعاها؛ لأنها مشغولة دائمًا.

نظرت «هدى» إلى «أحمد» وقالت: ها نحن نبدأ القسم الأول.

قال «أحمد»: إن مهمتك أن تقتربي من الدكتورة بسرعة. فنحن في حاجة إلى كسب الوقت، وعندما نكون نحن في حالة تنفيذ المرحلة الثانية ... التي سوف تتوقف كثيرًا على معلوماتك، تكونين أنت قد قطعت معظم الشوط.

أسرعت «هدى» تُبدِّل ثيابها، ثم عادت، فقال «رشيد» إنها تسكن في ٢٠ شارع «كوري»، إن السيارة في انتظارك الآن.

أسرعت «هدى» بالانصراف، فقال «عثمان»: أعتقد أننا نستطيع أن نقوم بجولة في شارع «بارك» حتى نستطلع المكان.

وفي دقائق، كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى الخارج.

لم يكن موقع المستشفى الصغير بعيدًا، فهو يقع في نهاية الشارع، لقد هبطت غزارة الأمطار الآن، وأصبحت شيئًا عاديًّا ... ولذلك، فقد ازدادت حركة المرور في الشارع، حتى إن الشياطين اندسُّوا بين المارة فكان وجودهم عند المستشفى شيئًا طبيعيًّا.

كان المستشفى عبارة عن قصر صغير قديم يبدو وكأنه لأحد اللوردات القدامى، تحيطه حديقة واسعة خضراء، وتدور الأشجار مع السور الحديدي فتكاد تُغطِّي القصر، وكانت أضواء خافتة تلمع تحت وقع الرذاذ الهادئ.

همس «أحمد»: يَنبغي أن يدخل أحدنا، ليسأل عن الدكتور «كيم». فإذا التقى به، يدَّعي أنه جاء للتفاهم حول عملية تجميل لشقيقه، وليعرف التفاصيل.

قال «عثمان» بسرعة: أعتقد أنني أصلح لذلك. ثم ابتسم ابتسامة واسعة، جعلت أسنانه البيضاء تلمع، وكأنها قطع من الثلج ...

وكانوا يقفون بعيدًا بعض الشيء عن المستشفى ... وابتسم «عثمان» مرة أخرى وقال: إلى اللقاء.

وفي خطوات جادة، اتجه إلى المستشفى، بينما كان الشياطين يَرقُبونه وهو يختفي وسط الزحام شيئًا فشيئًا ... ثم في النهاية وصل عند الباب الحديدي الضخم للقصر ... وعندما تقدم إلى الداخل، وهو يجتاز الحديقة فكر لقد بدأت خطة التنفيذ فعلًا قسمها الأول تنفذه «هدى». وقسمها الثاني ينفذه «عثمان».

«هدى» ... تسبب قلقًا للشياطين!

لم يكن أمام بقية الشياطين شيء يفعلونه الآن ... إن مهمة «هدى» سوف تكون هي المفتاح للمغامرة، ومهمة «عثمان» هي تكملة مهمة «هدى» ... ولذلك فقد نفذوا فكرة سريعة، وهي الدوران حول القصر لمعرفة إمكانية الاستفادة من جميع جوانبه، فاتجهوا إلى نهاية سور الواجهة، التي يقع فيها باب الدخول، وأمام الباب لاحظوا سيارة مرسيدس سوداء تقف بالقرب من الباب الداخلي. كان الممر الطويل يبدو لامعًا تحت تأثير الشتاء وتأثير الضوء، وحول الممر كان يبدو الزرع الأخضر، نظيفًا هو الآخر. لم يكن هناك أحد. وإن كان كشك صغير، يبدو خلف الباب مباشرة. كان مظلمًا بما يعني أنه لا يوجد أحد بداخله.

استمَرُّوا في سيرهم باستقامة السور الجانبي الأيمن، كان السور من الحديد الذي تتخلَّله أعمدة حجرية بيضاء، وداخله ترتفع أشجار عالية، وعليها تلك النباتات المتسلِّقة، التي تبدو كستار يُخفي كل شيء، كان طول السور يقترب من الخمسمائة متر، وكان هذا يعني أن الحديقة واسعة تمامًا، مع نهاية السور، انحرفوا مع الضلع الثالث والذي يوازي ضلع واجهة القصر.

فجأةً توقف «أحمد». فتوقف «بو عمير» و«رشيد»، وأخرج «أحمد» سماعة صغيرة وضعها في أذنه، وبدأ يسمع ... عرف «بو عمير» و«رشيد» أن «عثمان» قد فتَح جهاز الإرسال، لينقل لهم أي حديث يدور داخل المستشفى الصغير.

أخذت الدهشة تظهر على وجه «أحمد». وكان الحديث الذي يدور كالآتي:

صوت: هل تحتاجها أنت؟

عثمان: نعم.

صوت: هل هي مسألة خاصة بك؟ ... إنك تبدو وسيمًا ولا تحتاج إلى إجراء أي عملية لك.

ضحك «عثمان» وهو يقول: إنها مسألة خاصة بشقيقي الأكبر.

صوت: هل هو موجود؟

عثمان: ليس هنا، إنه فقط في انتظار أن أستدعيه.

صوت: وماذا تريد الآن؟

عثمان: أريد أن ألتقي بالدكتور «روبرت كيم».

سمعت أصواتًا لأقدام تَقترب، ثم تتوقف، وصوت نسائي يتحدَّث: إنه بخير الآن، وإن كانت هناك بعض الآلام.

صوت: لا بأس. نرجو أن يتحسَّن بشكل أسرع.

الصوت النسائي: هه وماذا يُريد هذا الزائر؟

صوت: يُريد مقابلة الدكتور.

بعدها سمعوا أصوات أقدام تقترب أكثر. ثم نفس الصوت النسائي: تستطيع أن تتحدث معي، وسوف أبلغ الدكتور بما تريد.

عثمان: أفهم من ذلك أنه غير موجود.

الصوت النسائي: بعض الوقت.

عثمان: هل يمكن أن أنتظره؟

ضحكات خافتة، ثم الصوت النسائي: قد تنتظره أيامًا؛ فهو غير موجود الآن.

لحظة صمت، ثم صوت «عثمان»: هل أستطيع أن أحصل على موعد لألقاه؟!

لحظة صمت أخرى، ثم الصوت النسائي: تستطيع أن تطلب المعلومات التي تُريدها، وتترك رقم تليفونك، وسوف نتصل بك.

عثمان: هل سيتأخر الموعد؟

الصوت النسائي: هذه المسألة يحددها الدكتور.

سمع الشياطين الصوت النسائي يطلب استمارة. ثم صوت أقدام تقترب. ثم صوت ورقة. بعدها ساد صمت طويل ثم سمعوا صوت الورقة مرة أخرى.

ضحكة من الصوت النسائي: ربما يُريد شقيقك أن يعمل بالتمثيل؟

صوت «عثمان»: نعم.

الصوت النسائي: رائع، هل هو مرتبط بعمل الآن؟

صوت «عثمان»: نعم. إنه على الأكثر يجب أن يقف أمام الكاميرا بعد حوالي شهر.

الصوت النسائي: هذا يعني أنه لا بد أن يُجريَ العملية خلال أيام.

صوت «عثمان»: أعتقد ذلك.

صمت لبرهة ... ثم صوت أقدام تبتعد ... الصوت النسائي يقول في هدوء: إذن، انتظر قليلًا.

صوت أقدام نسائية تبتعد، حتى تختفي ... صمت ... يطول الصمت، فينتزع «أحمد» السماعة من أذنه وهو يقول: لقد انتهى الحوار، لكن له بقية. ونقل لهم تفاصيل الحوار الذي سمعه ... ثم قال في النهاية: إنه تصرُّف جيد من «عثمان»، وهذه خطوة طيبة في تنفيذ خطته.

استمرَّ الشياطين في تقدُّمهم، كان السور بنفس الطريقة الحديدية، والأعمدة الحجرية، والشجر والنباتات المتسلِّقة التي لا يتسرَّب منها سوى الضوء الخافت. كان ضلع السور أطول من سابقه. فهو يقترب من السبعمائة متر، حتى إن «رشيد» علق: إنها حديقة رائعة بلا جدال.

ابتسم «بو عمير» وهو يقول: نستطيع أن نراها الآن إن كنت تحب.

انتهى الضلع الثالث، ووقفوا عند بداية الضلع الرابع المطل على شارع «بارك». كانت أقدام المارة، قد بدأت تقل، فتوقفوا قليلًا، ينتظرون خروج «عثمان» غير أن وقوفهم طال.

مرةً أخرى، أسرع «أحمد» بإخراج السماعة، ووضعها في أذنه ... كان جهاز الاستقبال الذي يحمله في جيبه قد أعطى إشارة لبداية حديث جديد. فأخذ يَستمِع.

كان هناك صوت حذاء نسائي يدق على الأرض في نشاط وهو يقترب، وعندما توقف، قال الصوت النسائي: لقد تحدَّثت إلى الدكتور «كيم» تليفونيًّا، وقد حدد لك موعدًا بعد غد في الثانية ظهرًا.

قال صوت «عثمان»: إنني أشكر لكِ هذا الموعد. فلولاك، ما كنت قد استطعت أن أحصل عليه. لكن.

ثم توقف لحظة، وأخيرًا قال: هل تسمحين لي أن أتعرف بك، حتى أسأل عنك كلما أتيت.

ارتفعت ضحكة نسائية رقيقة، ثم قال صوتها: «الدكتورة اليانور جاكسي»، مساعدة الدكتور «كيم».

ظهرت الدهشة على وجه «أحمد». لكنه عاد مُنتبهًا مرة أخرى، فسمعها تقول: إن الدكتور لن يستطيع إجراء أي عملية الآن، على الأقل في خلال أسبوعين. فهو مُجهَد هذه الأيام، بتأثير عمليات كثيرة أجراها، وتحتاج إلى رعاية، ولكنني حصلت لك على الموعد، لأنك شاب طيب.

جاء صوت «عثمان»: أرجو أن أستطيع إقناعه، شكرًا يا دكتورة ... ولم يكمل كلامه.

لقد ارتفع صوت ضحكة «اليانور» وهي تقول: اسمي «اليانور جاكسي»، وأرجو ألا تنساه مرة أخرى.

جاء صوت «عثمان» خَجِلًا: معذرة. وثقي أنني لن أنسى اسم الدكتورة «اليانور» أبدًا. تحياتي، وإلى اللقاء.

جاء صوت الدكتورة: «إلى اللقاء يا ...» صمتت لحظة ثم قالت: لقد نسيت.

قال «عثمان» ضاحكًا: إذن، واحدة بواحدة، اسمي «جاك» فقط، وليس «جاكسي».

ضحكا معًا وأخذ صوت أقدام نشيطة يبتعد، عرف «أحمد» أنها صوت أقدام «عثمان»، فأنزل السماعة عن أذنه، ولا تزال الدهشة مسيطرة عليه.

نظر إلى الشياطين الذين كانوا في حالة دهشة، لحالته، وقال «رشيد»: ما المسألة؟

همس «أحمد» مفكرًا: هل يمكن أن تكون هي نفسها «اليانور جاكسي»؟ وكيف تكون في انتظار «هدى» ثم تكون هنا في نفس الوقت؟ والمعلومات التي لدينا، تقول إنها تركت «د. كيم» بعد خلاف بينهما.

لم يكن الشياطين يفهمون شيئًا. فشرح لهم «أحمد» الحوار الذي دار بين «عثمان» و«الدكتورة اليانور».

فقال «بو عمير»: إنَّ «هدى» سوف تكشف هذه الحكاية.

ثم سادت لحظة صمت بينهم، وهم يأخذون طريقهم مُبتعِدين عن المستشفى، في اتجاه مقابل له، حتى يستطيع أن يَراهم «عثمان».

وهمس «أحمد»: إن «عثمان» هو الذي سوف يكشف المسألة الآن، فهو يعرف «اليانور» من خلال صورتها، خصوصًا وأن ملامحها لا يمكن أن يخطئ أحدنا فيها.

بعد لحظات ظهر «عثمان» وأخذ اتجاهًا مختلفًا. فتبعوه عن بُعد، وعندما أصبح الجميع بعيدين عن المستشفى تمامًا انضمَّ «عثمان» إليهم.

قال مبتسمًا: ما رأيكم في الموعد؟

رد «رشيد»: موعد جيد، من أجل شقيقك بطل السينما. وابتسموا جميعًا.

وسأل «أحمد»: هل هي «اليانور جاكسي»؟

قال «عثمان» بهدوء جاد: نعم ... «اليانور جاكسي» ... الدكتورة «اليانور جاكسي». لقد أصبحنا أصدقاء وأظنُّكم سمعتم ما دار من حديث.

قال «أحمد»: لا يُمكن أن تكون هي «اليانور جاكسي» نفسها ... هناك خطأ ما.

رد «عثمان» بنفس الهدوء: لقد قدمت نفسها لي بأنها «اليانور جاكسي» ... هل تظنُّ بأنني يُمكن أن أقول لها إنها ليست «اليانور جاكسي» وإنها أي شيء آخر.

ابتسموا جميعًا ... فقد أدرك «أحمد» أن «عثمان» كان يُداعبه ...

سأله «أحمد»: هل يُمكن أن تصفها لي؟

قال «عثمان» مبتسمًا: أرجو أن تناديني بالسيد جاك ... ثم أضاف: إنها إنجليزية مائة في المائة.

أحمد: بالتأكيد لا بدَّ أن تكون إنجليزية مائة في المائة.

عثمان: إن «اليانور» الحقيقية، لها ملامح يابانية فكيف تكون إنجليزية مائة في المائة؟

أحمد: فهمت ... هذا يعني أنهم استعاروا اسم الطبيبة المساعدة الأصلية، حتى لا تكون هناك شبهة ما.

رشيد: قد يكون التشابه في الأسماء.

عثمان: داخل مستشفى واحد، ليس فيه سوى مساعدة واحدة.

كانوا يَمشُون ببطء ... لكن «أحمد» قال: يجب أن نُسرع حتى نكون في انتظار «هدى» ... إن ما سوف تحمله من أنباء سيكون هو المفتاح كما قلنا.

أسرعوا في خطواتهم، وكان الفندق يلوح من بعيد، بعد أن كانوا قد ابتعدوا عن دائرة المكان، والشوارع الآن تكاد تخلو من المارة ... ورذاذ المطر ينزل في رقة، تجعل المشي تحته متعة أخرى، كانت خيوطه تبدو ممتدة من الظلام إلى بقع الضوء التي كانت تنتشر على الأرض من نوافذ البيوت ...

وقال «عثمان»: كم هي جميلة «لندن» في هذا الجو الشتوي!

رد «بو عمير»: إنها دائمًا هكذا ... شتوية الطقس.

عثمان: إنَّ اللحظة التي نمشيها، ليست ككل لحظة، لقد حققنا أكثر من خطوة جيدة. وهذا يجعل للمدينة العريقة، طعمًا مختلفًا.

رشيد: هذا حقيقي.

اقتربوا من الفندق. كان «أحمد» يبدو شاردًا، وهو يخطو في خطوات جادة، وكأنها عسكرية، وعندما دخلوا الفندق، كان بعض النزلاء يَجلسُون في الصالة الواسعة. أخذ الشياطين طريقهم إلى حجراتهم، واجتمعوا في حجرة «أحمد» ...

كان واضحًا أن «هدى» لم تَصِل بعد، رفع «أحمد» يده ونظر في ساعته، ثم همس: لقد تأخَّرت.

نظر له الشياطين بسرعة، كان وجهه يبدو هادئًا وإن كان بعض القلق، يَختفي تحت هذا الهدوء ...

سرى القلق بين الشياطين، حتى إن «عثمان» سأل: هل تظنُّ أن شيئًا قد حدث؟

لم يرد أحد، فشرد كل منهم يفكر في «هدى». ولكن فجأة سمعوا صوت أقدام مكتوم يقترب، فتطلعوا جميعًا إلى الباب، كان كلٌّ منهم يتوقَّع أن تكون هي ... حتى إنَّ «بو عمير» قفز في اتجاه الباب ليفتحه. إلا أن الأقدام استمرت في طريقها.

وقف «أحمد» واتجه إلى النافذة المطلة على شارع «بارك» وأزاح الستارة وأخذ يرقب لمعان الشارع. لم تكن هناك أقدام تسير، وإن كانت بين لحظة وأخرى، تمر سيارة في هدوء، مرة أخرى نظر في ساعة يده، كانت تشير إلى العاشرة مساءً، فانتابه قلق أكيد، أن المفروض أن تكون هنا منذ ساعة على الأقل ... فالمقابلة لن تَستغرِق وقتًا.

من بعيد، ظهر شبح يقترب ... لم يكن يبدو صاحبه جيدًا. وإن كان صوت الحذاء يرتفع في الهدوء الليلي ... ثم ظهر الشبح أكثر، ولم يكن سوى شاب يسير وحده. فكر «أحمد»: هل يتصل بعميل رقم «صفر»، الذي حدد الموعد بين «هدى» والدكتورة «اليانور»؟ وأخذ يُقلب الفكرة في ذهنه، لكنه لم يُنفذها، فهو يعرف أن «هدى» سوف تتصرَّف جيدًا ... اقترب الشياطين من «أحمد»، ووقفوا حوله بجوار النافذة ...

قال «رشيد» بشيء من القلق، وبصوتٍ هامس: أخشى أن يكون هناك من يراقبها.

قال «عثمان»: أو أن الدكتورة «اليانور» سوف توصلها بسيارتها، وهي بالتأكيد مراقبة من العصابة؟

تردَّدت أسئلة كثيرة، جعلت القلق يستولي على الشياطين أكثر ... حتى إن «بو عمير» قال: هل أذهب إليها في ٢٠ شارع كوري، حيث تَسكُن الدكتورة؟

مرَّت لحظة صمت، ثم أجاب «أحمد»: لا داعي. ربما تكون «هدى» قد كسبت جولة طيبة معها، ويكون هذا فقط، هو سبب تأخيرِها.

لكن كلام «أحمد» لم يُلغِ قلق الشياطين ... وظلُّوا في النافذة في انتظار «هدى».

ثم بدأت ... المواجهة!

مرَّ الوقت سريعًا حتى أصبحت الساعة العاشرة والنصف ... أخذ الشياطين يدورون في الحجرة، وكأنهم مسجونون إلا «أحمد» الذي كان لا يزال يقف في النافذة في انتظارها ... فجأةً تناهى إلى سمعه صوت أقدام تقترب من الشارع، فاقترب من النافذة أكثر، وانحنى يتسمع صوت الخطوات وعندما اقترب الصوت أكثر، عرف فيه صوت أقدام «هدى». تنفس في ارتياح، ثم استدار ونظر إلى الشياطين الذين كانوا قد جلسوا ... في صمت. وعندما رأوا تعبير وجهه، قفز «عثمان»: هل أتت؟

قال «أحمد» مبتسمًا: ومتى لا يعود الشياطين.

مرت لحظات، وهم يرقبون الباب الذي فتح في هدوء، ثم ظهرت «هدى» وهي ترسم ابتسامة واثقة على وجهها. تقدمت إلى الداخل، ثم جلست. التف الشياطين حولها، فسألها «بو عمير» في لهفة: هل قابلت الدكتورة «اليانور»؟

أجابت: نعم.

أحمد: هل هي التي عرفتها في الصورة؟

هدى: نعم هي.

التقت أعين الشياطين، حتى إن «هدى» تساءلت: وهل يجب أن أقابل أحدًا آخر؟

شرح لها «أحمد» ما حدث من لقاء «عثمان» في المستشفى، بتلك التي قدمت نفسها على أنها «اليانور جاكسي» ... وبرغم أن الدهشة ظهرت على وجه «هدى» في البداية، إلا أنها قالت: أظن أن هذه مسألة طبيعية أن تظهر «اليانور» مزيفة.

صمتت «هدى» قليلًا، ثم قالت: إن اللقاء كان رقيقًا جدًّا. ولقد تحدثنا كثيرًا في أمور مختلفة ... ومن الغد، سوف أبدأ عملي هناك، لقد اقتربنا خلال الحديث، وأظن أنني لن

أستغرق وقتًا طويلًا في معرفة الكثير عن الدكتور «روبرت كيم» ... خصوصًا وأننا تحدثنا أيضًا عن جراحة التجميل، وعن عملها مع «روبرت».

سألها «رشيد»: وما هي طبيعة العمل الذي سوف تقومين به.

قالت «هدى»: إن الدكتورة «اليانور»، تعمل في مستشفى «هاملتون» وهو يبعد عن لندن بحوالي خمسين كيلومترًا ... إنها تعيش مع أمها العجوز، وهي سيدة رقيقة تمامًا، وأمها «جاكسي» تظلُّ وحدها طوال فترة غياب ابنتها ... وسوف أكون مجرد مُرافِقة لها، أقضي معها الوقت. فهناك من يقوم بأعمال المنزل، لكن لفترات معينة ثم ينصرف، وسوف يبدأ يوم العمل من الثامنة صباحًا حتى الثامنة مساءً.

قال «عثمان»: هذا يعني أنكِ لن تجلسي كثيرًا مع الدكتورة.

قالت «هدى»: ربما، ولكن السيدة «جاكسي»، سوف تكون مصدرًا جيدًا للمعلومات أيضًا.

تعدَّدت مناقشة الشياطين، ثم انصرفوا للنوم، حتى تبدأ «هدى» عملها صباحًا، لأنها لا بد أن تصحو في السابعة ... فالدكتورة لا تسكن بعيدًا ... بجوار أن أحدًا لن يوصلها، حتى لا تلفت النظر. هدأت حركة الليل، وأصبح الصمت يحوط كل شيء، إلا تلك الدقات الرتيبة التي كان يحدثها الشتاء عندما يشتد المطر، لقد غرق الشياطين في النوم، بعد أن حققوا خطوات طيبة هذا النهار ... ولكن «أحمد» كان الوحيد الذي ظل مستيقظًا، لقد كان يقلب الأمور في ذهنه حتى يصل إلى بداية الخيط. إن المطلوب هو معرفة شكل الدكتور «جاسبروور» بعد أن أجريت له عملية التجميل، وبدون ذلك فلن يتمكَّن من تحقيق شيء.

فكر «أحمد»: إن دخول «عثمان» المستشفى، وتردده عليه، ثم لقاءه بالدكتور «روبرت كيم»، سوف يجعله زبونًا عاديًّا، ولن يلفت نظر أحد، ووصول «هدى» إلى بعض المعلومات من منزل «اليانور جاكسي» سوف يفتح الطريق أمام الشياطين، لاتخاذ الخطوة التالية.

ظلَّ «أحمد» مستغرقًا في التفكير حتى غلبه النوم، غير أنه استيقظ بعد ساعة، ونظر في ساعة يده، فوجَدَها الثانية صباحًا. أخذ يستمع إلى دقات المطر على زجاج النافذة، الذي كان يعكس إضاءة الشارع. فكر: هل يُمكن أن تكون «هدى» مراقبة من العصابة؟ أخذ يقلب الموقف في ذهنه. وقال لنفسه: إنني أحتاج إلى النوم الآن، فمنذ الغد تبدأ خطوات أخرى. أخذ يمارس تمارينه النفسية حتى ينام. ولم تمض عشر دقائق، حتى كان قد استغرق في النوم.

وعندما استيقظ في الصباح، كان الشياطين يَجلسُون في الحجرة ... ابتسم وهو يقول لقد تأخَّرت، أظن أن «هدى» قد انصرفت.

قال «عثمان»: نعم ... إن الساعة الآن تُشير إلى الثامنة والنصف، وهذا يعني أنها تسلمت عملها منذ نصف ساعة.

عندما انتهوا من إفطارهم، خرجوا يتجوَّلون في المدينة، كانت آثار شتاء الليلة الماضية لا تزال واضحة برغم العمل الجاد الذي لاحظوه وهم يتجوَّلون، في الشوارع. وعندما اقتربت الساعة من الواحدة، أخذوا طريقهم إلى الفندق، حتى يستعد «عثمان» لمقابلة «د. روبرت كيم».

وفي الثانية إلا الربع، ودعهم «عثمان» ثم أخذ طريقه إلى المستشفى.

جلسوا في حجرة «أحمد» في انتظار إشارة ما، من «عثمان» أو «هدى». لكن برغم مرور الوقت، إلا أن شيئًا لم يصل إليهم ...

وعندما دقت الساعة الرابعة تمامًا، كان «عثمان» يفتح الباب وهو يبدو ضاحكًا، وأخذ يقص عليهم ما حدث ... حديثه مع «اليانور» المزيفة، ولقاءه بالدكتور «روبرت» الذي استطاع أن يعقد معه علاقة طيبة.

رغم اعتذار الدكتور عن إجراء أي عملية الآن، لأنه مشغول جدًّا. فلديه أكثر من عشر عمليات تجميل. ارتبط بمواعيدها. لكنه قال لـ «عثمان» في نهاية اللقاء: إنه يُسعده أن يلقاه دائمًا.

قال «عثمان» في نهاية الحديث: إنَّ المستشفى يكاد يكون محاصرًا من الداخل تمامًا ... والدكتور لا يتحرَّك إلا تحت أعين تراقبه.

سأله «أحمد»: ماذا كانت حالة الدكتور؟

فكر «عثمان» قليلًا وكأنه يستعيد صورة الدكتور «روبرت» ثم قال: كان برغم رقته، يبدو مهمومًا، وحزينًا. حتى إنه تحدث بعض الوقت، عن قسوة العمل الذي يقوم به، بالرغم من حبه له. وقد لاحظت أنه غيَّر مجرى الحديث عندما دخلت «اليانور»، تُخبره أن حجرة العمليات سوف تكون جاهزة للحالة الجديدة في تمام السادسة.

تساءل «رشيد»: كان الدكتور يستطيع أن يُخبر أي إنسان بما حدث ...

وقبل أن يكمل كلامه، قاطعه «أحمد» قائلًا: لا تنس أن العصابة يمكن أن تنهي حياته لو حدث أي شيء، حتى ولو بعد انكشاف الموقف ... إن الدكتور يعرف ذلك جيدًا.

امتد الصمت حتى قطعه «بو عمير» قائلًا: أظن أن «هدى» هي التي تملك الآن مفتاح الموقف كله، عندما تحصل على معلومات.

انقضى النهار، واقتربت الساعة من الثامنة. فجأة أعطى جهاز الاستقبال إشارة، قال «أحمد» على إثرها: أظن أنها ... «هدى».

جاءت الرسالة قصيرة وسريعة. كانت تقول: سوف أتأخر بعض الوقت.

كانت الرسالة القصيرة تعني أن «هدى» في طريقها للحصول على معلومات هامة ... ولذلك، أخذ الشياطين يقطعون الوقت في انتظار وصولها ... لكن الوقت تأخر، بما جعلهم يفكرون في شيء آخر، لقد انتهى تفكيرهم إلى الخروج والذهاب إلى منزل الدكتورة «اليانور».

وقد حدد «أحمد» طريقة التحرك: سوف أذهب أنا و«بو عمير»؛ فخروج «عثمان» يلفت النظر، بعد أن أصبح معروفًا للمستشفى، وقد نلتقي بأحد من رجال العصابة الذين رأوا «عثمان». وسوف نرسل إليكم تفاصيل تحركنا.

ولم تمضِ دقائق، حتى كان «أحمد» و«بو عمير» يقطعون شارع «بارك» إلى شارع «كوري»، حيث تسكن الدكتورة «اليانور». كان الجو باردًا جدًّا، غير أن السماء لم تكن تمطر، وعندما انتهى شارع «بارك» انحرفا إلى شارع «كوري». كانت الإضاءة خافتة، ولم يكن هناك أحد يمر في الشارع.

لكن فجأة همس «بو عمير»: انظر إلى يسارك قليلًا.

نظر «أحمد» بطرف عينه. كان هناك رجل يلبس معطفًا ثقيلًا ... ويَمشي في هدوء ... أبطأ سيرهما حتى يتمكنا من رؤية الرجل جيدًا، كان منزل الدكتور «اليانور» يقع في نهاية الشارع، في نفس الاتجاه الذي يتَّجهه الرجل.

همس «أحمد»: ينبغي أن ندخل في شارع «يورك» ونراقب الموقف، إن المنزل سوف يكون تحت أعينِنا.

انحرَفا إلى شارع يورك، فوجدا رجلًا يقف تحت أحد أعمدة النور. كان يبدو مُستغرقًا في قراءة ورقة صغيرة.

التفت «أحمد» وألقى نظرة سريعة في اتجاه منزل الدكتورة، ثم همس: إنَّ «هدى» تخرج من الباب.

ظهر ضوء غمر الشارع فجأة، ثم اقترب صوت موتور سيارة. ومرت بجانبهما ثم تجاوزتهما. في نفس اللحظة، استدارا عائدين، ولمح «بو عمير» الرجل الواقف تحت عمود النور وهو ينظر في اتجاههما بسرعة، ثم يستغرق في قراءة الورقة من جديد.

نقل ما رآه «لأحمد» الذي همس يبدو أنهما من رجال العصابة، وهما يراقبان منزل الدكتورة.

استمرا في سيرهما حتى وصلا شارع «بارك» وكانت «هدى» تسير أمامهما. في نفس الوقت الذي كانت فيه السيارة، تسير ببطء، وكأنها تَرصُد شيئًا. وفَهِما الموقف تمامًا.

فجأة التفتت «هدى» خلفها، فخشيا أن تناديهما لكنها استمرت في طريقها. وكأنها لم ترهما، فظلا في سيرهما، حتى دخلَت «هدى» من باب الفندق فلم يدخلا خلفها، بل استمرا في سيرهما حتى لا يلفتا نظر أحد ... قطعا الشارع حتى تأكَّدا أنه لا يوجد أحد، فعادا مسرعين وعندما دخلا حجرة «أحمد» كانت «هدى» تجلس وحولها «عثمان» و«رشيد».

أخذت «هدى» تنقل إلى الشياطين ما حدث طوال اليوم ... قالت في البداية إنَّ المنزل مراقب، وإنها لاحظت ذلك منذ أن دخلت في الصباح، غير أن أهم ما قالته «هدى»، هو ذلك السؤال الذي سألته للدكتورة بعد أن جلسا في أول الليل: لماذا لا تقوم بإجراء عمليات التجميل؟ وعرفت من إجابة «اليانور» أنها طبيبة تخدير، وليسَت جرَّاحة، وأن عملها يعتبر في نفس أهمية العملية الجراحية. ثم أخذت تحدثها عن خطوات العملية، فعرفت منها أن الدكتور «كيم» يقوم بصبِّ تمثال من الجبس لوجه من يريد أن يُجري له العملية. ثم يقوم بدراسة الوجه، وإجراء التجارب عليه، حتى يصل إلى الشكل الأمثل. بعدها يصبُّ تمثالًا آخر للوجه في صورته النهائية ... وهي نفس الصورة التي سوف يكون عليها الوجه، وأنه يَحتفظ بهذه التماثيل في متحف خاص بالمستشفى. وعرفت أيضًا أن كلَّ تمثالين يحملان الاسم الأخير من الاسم الكامل للمريض. ودائمًا يكون الاسم مكتوبًا على قاعدة التمثال.

قال «أحمد» عندما ذكرت «هدى» هذه المعلومات لقد تحدد الموقف وهذه مهمة «عثمان» القادمة.

هتف «عثمان»: غدًا؟

فقال «أحمد»: لا بعد يومين.

صمت قليلًا ثم قال: سوف تذهب إلى المستشفى في الواحدة ظهرًا، وسوف تدخل بشكل عادي ... وعليك أن تعرف أين يوجد هذا المتحف ... إن مهمتنا الآن، هي الحصول على تمثال «د. جاسبروور»، بعد أن أجرى العملية.

ثم حدد الشياطين خطوات التنفيذ كلها، ولذلك فلم يكن أمامهم شيء يَفعلونه، إلا انتظار موعد ذهاب «عثمان» إلى المستشفى، في نفس الوقت تظل «هدى» في عملها العادي في منزل الدكتورة. شيء واحد فعلوه، هو حراسة «هدى» أثناء عودتها في الليل، خصوصًا وأنها أصبحت تتأخَّر بعد الثامنة ... خاصة بعد أن بدأت علاقتها «باليانور»، تتوطد.

كان قد مر يوم منذ وضعوا خطة التنفيذ. وعندما اقتربت الساعة من الثامنة مساءً. وضع «أحمد» مكياجًا يُغير به شكله، ثم اصطحب «رشيد»، حتى لا يَلفت شكلُه عيونَ رجال العصابة، وحتى يكون وجودهما عاديًّا. اقتربا من شارع «كوري»، عندما كانت

الساعة تدقُّ الثامنة والنصف. لم يكن أحد بالشارع. ظلا يقطعان الشارع في بطء، حتى نهايته. وعندما استدارا للعودة، لمحا «هدى» من بعيد تخرج من باب المنزل. وأسرعا قليلًا حتى يكونا أكثر قربًا منها. مضت دقائق، وهما خلفها، وهي تسير في هدوء.

فجأة، ظهرت سيارة مسرعة. وانحرفت بشدة في اتجاه «هدى» حتى كادت تصدمها. إلا أنَّ «هدى» كانت منتبهة تمامًا، فقفزت بعيدًا عن السيارة، التي ظلَّت في سرعتها، غير أن الموقف تغير، فقد ظهر رجلان خلف «هدى»، واقتربا منها بسرعة، حتى أصبحا يسيران بجوارها. أسرع «أحمد» و«رشيد»، في نفس اللحظة التي مد فيها أحد الرجلين يده، يُمسك بيد «هدى». سارت «هدى» معه، لكنها فاجأته بحركة دائرية جعلت الرجل يدور في الهواء، ثم يسقط على الأرض. وقبل أن يتمكن الآخر من «هدى» كان «رشيد» يطير في الهواء، ليُفاجئه بمشط قدمه في وجهه، ليسقط هو الآخر. قام الرجل الأول بسرعة، إلا أن «أحمد» عاجله بقبضة قوية في وجهه جعلته يترنَّح، وقبل أن يستعيد توازنه، ضربه مرةً أخرى، فانحنى وهو يئنُّ. ثم ضربه بكلتا يديه فسقط على الأرض.

كان «رشيد» يقف مُبتسمًا، فقد اندفع الرجل الثاني هاربًا. وعندما استعدَّ الثلاثة للسير، كانت السيارة قد عادت من جديد بنفس اندفاعها، ثم توقَّفت فجأة. وقبل أن ينزل منها أحد كان الشياطين قد قفزوا يحاصرونها، فاندفعت هاربة. وعرف الشياطين، أن المواجهة قد بدأت.

المعركة ... داخل المتحف!

عندما دخل الثلاثة حجرة «أحمد»، عقدوا اجتماعًا سريعًا، شرح «أحمد» ما حدث، ثم قال في النهاية: سوف تتَّصل «هدى» بالدكتورة وتَعتذر لها عن حضورها ليوم واحد، إن ما نُريده من الدكتورة قد وصلنا إليه، وبقية المغامرة سوف يبدأها «عثمان» غدًا ... إن ما حدث الليلة، يدل على أن العصابة أكثر يقظة، وأكثر حرصًا.

في تمام الساعة الواحدة إلا الربع، خرج «عثمان» من الفندق «ذي روز» في طريقه إلى مستشفى «روبرت كيم». وفي نفس الوقت، كان «أحمد» يضع مكياجًا جديدًا، وفعل «رشيد» نفس الشيء. لقد أصبح الشياطين معروفين للعصابة. وعندما أصبحت الساعة الواحدة والنصف، كان الشياطين الثلاثة يخرجون إلى الشارع. بينما بقيت «هدى» في حجرتها، بعد أن اعتذرَت للدكتورة «اليانور».

في الطريق قال «أحمد»: سوف يكون «بو عمير» بعيد قليلًا عن المستشفى، وأكون أنا و«رشيد» بالقرب منه على أن نراقبه جيدًا.

افترق «بو عمير» عنهما، واتجه إلى الرصيف الآخر، كانت الحركة نشيطة في شارع «بارك» ... وهذا أعطاهم فرصة حتى لا يظهروا، أو يلفتوا نظر أحد ... وعندما اقتربوا من المستشفى، دار «بو عمير» خلفهما، في نفس الوقت الذي افترق فيه «رشيد» و«أحمد»، كل واحد في اتجاه. كان المكان حول المستشفى هادئًا نوعًا ما ... ولم تكن الحديقة أقل هدوءًا من المكان.

فجأة، شعر «أحمد» بالدفء في مكان الجهاز، فعرف أن هناك رسالة ما، فوضع يده على الجهاز، ثم بدأ يتلقَّى الرسالة، وكانت من «عثمان» الذي قال فيها: إن الدكتور مشغول اليوم تمامًا، ولن أستطيع أن ألقاه. غير أني أحاول معرفة مكان المتحف.

تنهد «أحمد» عندما عرف مضمون الرسالة، غير أنه فكر بعد لحظة. إن هذا من حسن الحظ ... إن ذلك يعني أن «عثمان» يستطيع أن يعود مرة أخرى. وظل يسير حول المستشفى في بطء مفكرًا. كانت الساعة تشير إلى الثالثة الآن، فقال في نفسه: إن «عثمان» لن يستطيع البقاء أكثر من ذلك.

عاد مرة أخرى في اتجاه باب دخول المستشفى، ومن بعيد لمح «رشيد» و«بو عمير» كل في اتجاهه. لحظة، ثم ظهر «عثمان». كان يخرج في هدوء ... في نفس اللحظة، ظهر خلفه رجلان يتحدثان في صورة عادية. إلا أن «أحمد» فكر: لا بد أنهما من رجال العصابة، وأن «عثمان» قد أصبح مراقبًا، ظلت عيناه على «عثمان» الذي استعدَّ للسير في اتجاه غير اتجاه الفندق. فابتسم «أحمد» لتصرف «عثمان» الذكي.

كان الرجلان يسيران خلفه في نفس صورتهما، وهما يتحدثان، وكأنهما لا يهتمان به. فنظر «أحمد» في اتجاه «رشيد» و«بو عمير» فوجدهما يأخذان نفس اتجاه «عثمان». وفكر «أحمد»: هل يمكن أن يدخل الرجلان في معركة الآن ... وفي وضح النهار؟ ثم أخذ طريقه في نفس اتجاه الشياطين.

فجأة لمعتْ في ذهنه فكرة: أن الرجلين يُمكن أن يفتكا «بعثمان» عن طريق المسدسات الكاتمة للصوت، خصوصًا وأن السيارات تمر بشكل عادي، وحركتها نشيطة.

أسرع في خطوته ... وفجأة اختفى «عثمان»، فقد دخل في شارع جانبي، حتى إن الرجلين وقفا ينظران حولهما ... ابتسم «أحمد» ونظر إلى «رشيد» و«بو عمير» اللذين كانا يَبتسمان هما الآخران، أخذ الشياطين طريقهم إلى شارع «بارك» حيث يقع الفندق، لكنهم ما كادوا يقتربون، حتى ظهر الرجلان ... استمروا في طريقهم حتى تجاوزا الفندق، وبعده بقليل، كان هناك مقهًى صغير، فاتجهوا إليه ... جلسوا متباعدين، في نفس اللحظة التي دخل فيها الرجلان، انسحب «عثمان» في هدوء، فتبعه أحد الرجلين، فتأكَّد «أحمد» أنهما من رجال العصابة، وأنهما يُراقبان «عثمان». نظر إلى «رشيد»، فانصرف في هدوء، وأخرج الرجل من جيبه «بايب» وملأه بالتبغ ثم أخذ يدخن.

مرت عشر دقائق، ظهر بعدها الرجل الذي خرج، قام «بو عمير» وانصرف وبقي «أحمد» يرقب الرجلين. كانا يتحدثان في همس. بعد دقائق انصرف «أحمد» هو الآخر، لكنه لم يتجه إلى الفندق مباشرة. بعد عدة خطوات التفت خلفه بسرعة، كان «بو عمير» يقف بعيدًا، وأشار له أن يعود إلى الفندق.

في حجرة «أحمد» عقد الشياطين اجتماعًا.

قال «عثمان»: لقد تركتُ نافذة المتحف مواربة. حتى نستطيع أن ندخل منها.

قال «أحمد»: يجب أن ننتهي الليلة. فالواضح أن العصابة قد بدأت تشك، ومن المؤكد أنها سوف تفكر في نقل «جاسبروور» من المستشفى إلى مكان مجهول، وبالتأكيد، سوف تأخذ «د. كيم» معها.

عندما كانت الساعة تدقُّ العاشرة، كان الشياطين قد أخذوا طريقهم إلى المستشفى. كانت الحركة قد هدأت تمامًا في المنطقة، وكانت هذه فرصة، للدخول إلى الحديقة. مشى «أحمد» و«عثمان» معًا، واتجه «رشيد» و«بو عمير» كل واحد في اتجاه، حول سور المستشفى الطويل. لقد كانت خطتهم أن يقفز كل واحد من مكان ثم يقتربوا من المبنى، ويتقدم «عثمان» و«أحمد» إلى المتحف ليدخلا من النافذة.

نفذ الشياطين الخطة. ووضع «أحمد» يده على جيبه ليطمئن إلى الكاميرا السرية التي يحملها، والتي سيُصوِّر بها تمثال «د. جاسبروور». اقترب هو و«عثمان» من النافذة، التي كانت مرتفعة قليلًا، وأخرج «عثمان» حبلًا له خطاف من جيبه، ثم شبكه في قاعدة النافذة، بعد أن قفز قفزة سريعة إليها.

تسلق في هدوء، بينما كان «أحمد» يرقب المكان. وصل «عثمان» إليها، ثم فتحها في هدوء، ودخل. تبعه «أحمد» في رشاقة، ثم جذَب الحبل، وعندما قفز داخل المتحف، أغلق النافذة خلفه حتى لا تلفت نظر أحد. كان المتحف يغرق في الظلام، وكانت رائحة المُستشفى تملأ المكان، بجوار تلك الرطوبة المنبعثة من الأرض، والتي تجعلها باردة تمامًا.

أخرج «عثمان» مصباحًا صغيرًا، وبدأ يكشف محتويات المتحف، كانت هناك عشرات التماثيل، مرصوصة بجوار بعضها. أخرج «أحمد» الكاميرا، ثم بدأ يستعد. أخذ الاثنان يبحثان عن وجه «د. جاسبروور». أمسك «أحمد» بأحد التماثيل، وقرأ على قاعدته: «بليكان ١٩٧٩». وضعه وأمسك تمثالًا آخر. قرأ بليكان ١٩٧٩ أيضًا. ظل ينظر إلى التمثالين. كان الأنف مختلفًا تمامًا في الأول كان يبدو كبيرًا. وفي الآخر، كانت تتسق تمامًا مع ملامح الوجه. أمسك بآخر وقرأ «لي» مايو ١٩٧٩. وضعه وأمسك تمثالًا بجواره، وقرأ: «لي» أغسطس ١٩٧٩. كان التمثال لفتاة في نحو العشرين. كانت في التمثال الأول تبدو عادية وفي الآخر تبدو جميلة تمامًا.

همس «عثمان»: إننا بهذه الطريقة سوف نحتاج لأسبوع حتى نكشف تمثال «د. جاسبروور».

أسرع يمر بضوء المصباح على التماثيل بسرعة. كان الاثنان يعرفان ملامح «د. جاسبروور» جيدًا. لكن فجأة، سمعا أصواتًا تقترب. وقفا في مكانيهما لا يتحركان.

اقتربت الأصوات أكثر، ثم توقَّفت عند باب المتحف. أسرعا يقفان خلف الباب. دارت أكرة الباب، ثم فُتح وامتدَّت يد في الظلام تبحث عن مفتاح النور. أسرع «أحمد» فجذَبه إليه بقوة، فاندفع صاحبها إلى الداخل. في نفس اللحظة، كان «عثمان» قد انقضَّ على صاحب الصوت الآخر، الذي ظهر في ضوء الممر. كاد الرجل يقفز هاربًا، لولا أن «عثمان» لحق به، وضربه في ساقه فاهتز توازنه وسقط على الأرض. غير أنه كان من المرونة بحيث أسرع بالوقوف، وهو يسدِّد لكمة قوية إلى فك «عثمان» الذي غير اتجاه وجهه، فطاشت اللكمة في الهواء … ضربه «عثمان» يدًا مستقيمة، فانحنى الرجل، إلا أنه في نفس الوقت كان يضرب «عثمان». وكانت الضربات قوية، مما جعلت «عثمان» يتراجع إلى الوراء حتى اصطدم بالحائط. وهجم الرجل عليه بسرعة قبل أن يستعد. كانت يدا الرجل قويتين حتى إن «عثمان» شعر باختناق للحظة. غير أنه ضرب الرجل، فتراجع إلى الوراء، وهو يجذب «عثمان» معه … ترك «عثمان» نفسه، فانجذب مع الرجل حتى إنهما سقطا معًا على الأرض. وعندما حاول الرجل أن يقف بسرعة، كان «عثمان» أسرع منه فضربه ضربة جعلت الرجل يطير في الهواء في اتجاه باب المتحف. في نفس اللحظة، كان «أحمد» يخرج من الباب، فتلقى الرجل بين ذراعيه، ثم أداره في اتجاهه ولكمه لكمة قوية جعلته يدور حول نفسه.

همس «عثمان»: أين الآخر؟

أجاب «أحمد» بسرعة، وهو يُسدِّد يدًا قوية إلى الرجل جعلتْه يصطدم بالحائط: إنه يرقد في الداخل.

قبل أن يُفيق الرجل من صدمته بالحائط. كان «عثمان» قد قفز إليه. ترنح الرجل قليلًا، ثم سقط على الأرض بلا حراك.

سأل «عثمان»: هل انتهيت؟

قال «أحمد» وهو يتجه إلى المتحف: ليس بعد.

اختفى «أحمد» داخل المتحف ووقف «عثمان» لحظة يرقب المكان ثم انحنى يجر الرجل، حتى لا يراه أحد. أدخله المتحف ثم أغلق الباب في هدوء.

كان «أحمد» لا يزال يبحث بين التماثيل، عن تمثال «د. جاسبروور» ووسط الضوء الخافت الصادر من المصباح، لمح «عثمان» وجه الرجل الآخر الممدَّد على الأرض فعلت الدهشة وجهه، فاقترب منه، ثم بدأ يقوم بإفاقته.

لاحظ «أحمد» ذلك فهمس: ماذا تفعل؟

قال «عثمان» وهو مستمر في إفاقة الرجل: إنه يستطيع أن يختصر الوقت بالنسبة لنا.

سأل «أحمد»: كيف؟

أجاب «عثمان»: إنه «د. روبرت كيم».

علت الدهشة وجه «أحمد»، فانضمَّ مسرعًا إلى «عثمان»، وظلا يفيقان الدكتور، الذي كان واضحًا أن «أحمد» قد ضربه ضربًا شديدًا.

فجأة تردَّد صوت أقدام تقترب. ونظر الاثنان إلى بعضهما. فأخرج «أحمد» جهاز الإرسال الصغير وأرسل رسالة إلى الشياطين كانت الرسالة تقول: انضموا إلينا، فنحن في المرحلة الأخيرة.

أفاق «د. كيم»، فنظر إليهما في دهشة، ثم برقت عيناه، عندما التقت بعيني «عثمان» وهمس: «جاك»؟

رد «عثمان» مبتسمًا: معذرة «د. كيم». لكنَّك سوف تعرف كل شيء فيما بعد. أين تمثال «جاسبروور»؟

ارتسمت الدهشة أكثر على وجه الدكتور، لكن «أحمد» قال بسرعة: ليس هناك وقت. هل تسمع هذه الأصوات التي تقترب؟

أشار «كيم» إلى تمثالين في الصف الخلفي للتماثيل، فأسرع «أحمد» إليهما. كان أحدهما الدكتور «جاسبروور»، فقلب الآخر وقرأ: «جاسبروور ١٩٨٠». وبسرعة كانت الكاميرا تسجل التمثالين. لقد كان «جاسبروور» في التمثال الأول رجلًا متقدِّمًا في السن. وفي الثاني شابًّا في الثلاثين. وعندما سجل «أحمد» عشر لقطات للتمثالين، كان «رشيد» و«بو عمير» يقفزان من النافذة.

في نفس الوقت الذي فتح فيه الباب، ضرب «عثمان» «د. كيم» على رأسه ضربة حانية، لكنها كانت كافية، لتجعله يغيب عن الوعي ... في نفس اللحظة التي دخل فيها خمسة رجال من الباب، وهم يُضيئون المتحف ... لكن قبل أن يتحرَّك واحد منهم، كان «رشيد» القريب من الباب، قد قفز قفزة عالية، ثم ضرب اثنين منهما، فطارا في الهواء. وتسلم كل واحد من الشياطين أحد الرجال.

بينما أمسك «بو عمير» بأحدهم الذي صاح: «ويك» استدع الرجال. غير أنه لم ينطق بعدها، فقد ضربه «بو عمير» على طريقة المقص على كتفيه، فاهتز الرجل.

كان «ويك» أحد الاثنين اللذين وقعا في قبضة «عثمان» و«رشيد». وقد عرفه الشياطين عندما بدأ يصيح: «نورمان»، «لاند» ... لكنه هو الآخر لهم يستطع أن يكمل النداء؛ فقد

كان «عثمان» أسرع من صوته، غير أنه لم يفقد السيطرة على نفسه فقد دار وطار في الهواء ليضرب «عثمان»، الذي استطاع أن يفلت منه فسقط الرجل على الأرض.

في نفس الوقت الذي كان «رشيد» يشتبك مع رجلين معًا، وبينما كان يضرب أحدهما كان الآخر قد أخرج مسدَّسًا فضيًّا، وقبل أن يضغط على الزناد، لحقه «رشيد» بضربة جعلت المسدس يطير في الهواء، إلا أن الرجل استطاع أن يلتقط المسدس مرة أخرى، ليضرب به «رشيد». وعندما نجح هذه المرة في أن يضغط الزناد، أسرع «أحمد» وطار في الهواء، وضرب المسدس من يده، فطاشت الرصاصة. إلا أن صوتها تردَّد في المتحف وخارجه.

كانت المعركة حامية، ولكن الشياطين استطاعوا أن ينتصروا فيها، وعندما كانوا قد فرغوا من الرجال الخمسة، وبدءوا يتحرَّكون، كانت مجموعة أخرى من رجال العصابة قد بدأت تقترب، في نفس الوقت كان صوت سيارة يرتفع في الخارج.

قال «أحمد» بسرعة: «رشيد» يرقب السيارة من النافذة.

أسرع «رشيد» وفتح النافذة. كانت السيارة تفتح أبوابها، وكان هناك رجل يحمله اثنان على نقالة، يقتربان منها بينما كان السائق يجلس إلى عجلة القيادة.

أخرج «رشيد» مسدسه الكاتم للصوت، ثم أطلق طلقة أصابت كاوتش السيارة، وسمع الشياطين صوت الفرقعة التي لم تكن عالية، نظر الرجال من الخارج إلى مصدر الصوت، ثم عادوا مسرعين بالرجل والنقالة إلى داخل المستشفى. وعندما التفت «رشيد» إلى داخل المتحف، كانت المجموعة الجديدة من أفراد العصابة قد وصلت. وبدأت معركة من جديد.

فكر «أحمد» بسرعة، وهو يتلقَّى أحد أفراد العصابة بين يديه: إن «د. جاسبروور» يمكن أن يختفي الآن. ثم ضرب الرجل ضربة قوية، جعلته يسقط على الأرض. كانت أرضية المتحف قد ازدحمت برجال العصابة المدَّدين على الأرض، بجوار الآخرين التي كانت المعركة لا تزال دائرة معهم. أخرج «أحمد» مسدسه وثبت فيه إبرة مخدرة، ثم أطلقها على أحدهم الذي كان يهم بلكم «عثمان» فأصابه في ظهره، توقف الرجل لحظة ثم سقط على الأرض.

أخذ «أحمد» يصطادهم الواحد بعد الآخر بالإبر المخدرة فقد كانت هناك مهمة أخرى هي منع العصابة من تهريب «د. جاسبروور». وعندما وجد أن المعركة يُمكن أن ينتصر فيها الشياطين، أسرع إلى نافذة المتحف المفتوحة ثم قفز منها. كانت المعركة دائرة بين رجال العصابة في الداخل وبين الشياطين. لكن كانت المعركة الأخرى أهم.

أسرع «أحمد» إلى جدار المستشفى، فالتصق به، ثم تقدم في اتجاه السيارة. كان السائق قد أدار المحرك ثم انطلق بها. في نفس الوقت الذي دخلت فيه سيارة أخرى مكانها. اقترب من مكان السيارة، ثم اختبأ بين النباتات المزروعة في مدخل المستشفى، لحظة، ثم ظهر بعض الرجال يحملون النقالة. كانت مغطاة تمامًا بملاءة بيضاء. لكن كان من الواضح أن فوقها أحدًا. فهم أنه «د. جاسبروور».

اقترب الرجال من السيارة. وعندما هموا بوضع النقالة داخلها، كان «أحمد» قد أخرج إبرة مخدرة، ثم أطلقها على أحد الرجال، فتوقف، حتى إن الآخرين، نظروا إليه وصاح أحدهم: ماذا حدث لك؟

إلا أن الرجل لم ينطق، لقد توقف لحظة، ثم سقط على الأرض، أما النقالة فمالت معه، فلحق بها آخر.

في نفس الوقت كان «أحمد» قد أطلق إبرة أخرى على كاوتش السيارة. وفي هدوء، لاحظها وهي تميل على الأرض ... توقف الرجال ينظرون إليها، وكان «أحمد» قد أطلق الإبرة الثانية على كاوتش آخر، فأخذ يتهاوى أيضًا. نظر الرجال إلى بعضهم، ولم ينطقوا ... لقد كانوا يرون شيئًا غريبًا يحدث لأول مرة.

تراجع الرجال بسرعة، واختفوا داخل المستشفى، في نفس الوقت الذي خرج فيه سائق السيارة بها، وأخلى المكان.

فكر «أحمد»: من الضروري أن يختفي «د. جاسبروور». بعد أن تكررت المحاولات. ولهذا، لا بد من تصرف سريع.

فجأة كان الشياطين يقفون حوله ... ونقل لهم بسرعة ما حدث ... وقال «عثمان»: من الضروري أن نرسل لرقم «صفر».

قال «أحمد» بسرعة: ليس الآن ... ولا نزال نملك الموقف.

ولا تزال هناك خطوات مهمة لا بد من تنفيذها.

قال «رشيد»: إننا نحتاج صور «جاسبروور» الجديدة حتى لا يفلت منا.

لم يرد «أحمد» مباشرة. فقد صمت قليلًا، ثم قال: المسألة الآن، بعد أن انكشف كل شيء، هو الخوف من الاعتداء عليه. إنني أخشى أمام فشلهم أن يلجئوا إلى ذلك ولهذا، يجب أن يظل الموقف تحت سيطرتنا.

فجأةً، كانت أصوات سيارات يتردد في الليل. وأخذت الأصوات تقترب حتى ظهرت أضواؤها على جدران المستشفى.

قال «أحمد»: إنها عملية كبيرة.

اختفى الشياطين يَرقُبون ما يحدث. توقفت خمس سيارات، بينها سيارة نصف نقل، وفهم الشياطين أنها مجهزة لنقل «د. جاسبروور»، وأن بقية السيارات للحراسة. ثم نزل من كل سيارة أربعة من الرجال، تبدو عليهم الشراسة.

همس «عثمان»: هل تبدأ المعركة الجديدة؟

قال «أحمد»: ليس من الحكمة أن نفعل ذلك.

أخرج جهاز الإرسال ثم أرسل رسالة سريعة إلى «هدى» ودخل الرجل المستشفى.

ثم قال «أحمد»: لا بد أن هناك تصرفًا ما.

مرت بضع دقائق، ثم سمع الشياطين أصواتًا بين النباتات. انسحبوا في هدوء بعيدًا عن الباب، واقتربوا من سور الحديقة. أخرج كل منهم مسدَّسه، في انتظار اللحظة الحاسمة.

كان «عثمان» يقف بجوار «أحمد» مباشرة، فأخرج «أحمد» الكاميرا ثم ناولها لـ «عثمان»، وهمس: عندما تظهر «هدى» أَعطِها الكاميرا.

ابتعد «عثمان» عن مكان الشياطين ... كانت الأصوات تقترب أكثر.

همس «أحمد»: انتشروا.

أخذ الشياطين يتباعدون. في نفس الوقت الذي ظهرت فيه مجموعة من الرجال يبحثون بين نباتات الحديقة عن شيء، فهم الشياطين أنهم يبحثون عنهم. لاحظ «أحمد» أن هناك شابًّا يقترب من المستشفى. وتجاوز الشاب باب الحديقة، وإن كان قد اقترب من السور. عندما أصبح الشاب قريبًا من عمود النور ابتسم «أحمد». لقد عرف أنها «هدى» وقد تخفَّت في زي شاب.

توقفت «هدى» عند السور، قليلًا، ثم فجأة، رنت طلقة في حديد السور الحديدي، فانبطحت «هدى» على الأرض. زحف «أحمد» بسرعة في اتجاهها. لكنه شاهد «عثمان» يمد يده من بين الأعمدة الحديدية ... فدوَّت طلقة أخرى، وأسرعت الأصوات في اتجاه «عثمان» ومعها كانت الطلقات تنهمر.

فكر «أحمد»: هل أصيب «عثمان». وأين «هدى» الآن. هل حدث شيء لها؟

فجأة، رأى أقدامًا تقترب بين سيقان الزرع. انتظر قليلًا، حتى أصبحت الأقدام بجواره تمامًا. وفي هدوء أخرج مسدَّسه، وأطلق إبرة مخدرة على الرجل الواقف بجواره. تحسَّس الرجل مكان الإبرة، ثم تهاوى بين النباتات، حتى إن صوتًا قريبًا صاح: «مايك»، ماذا حدث؟

لكن أحدًا لم يجب ... فاقترب أكثر، وكانت هذه فرصة أخرى لـ «أحمد».

لقد انتظر وهو يَحبِس أنفاسه حتى انحنى الرجل على «مايك»، فعاجله بلكمة قوية في بطنه، جعلته يئن، ويقع فوق زميله ... وكان صوت الأنين مرتفعًا بما يكفي لأن يلفت نظر الآخرين، الذين خرجوا من بين النباتات، وكان العدد ضخمًا، فابتسم «أحمد». لقد قصد أن يكشفهم، ولقد وقعوا في الفخ وانكشفوا.

ظلَّ يرقبهم وهم يقفون في حيرة، وقد أمسكوا بمسدساتهم، فقال أحدهم، وكان يبدو أنه زعيمهم، لأنه أصدر أمره في حدَّة: هيا إلى الداخل.

انسحبوا في هدوء، في نفس اللحظة التي كانت فيها السيارة النصف نقل، تفتح بابها الخلفي. وعرف «أحمد» أن «د. جاسبروور» سوف يظهر الآن فوق النقالة، ليختفي. فأرسل رسالة سريعة إلى رقم «صفر»، الذي رد: استمروا.

فجأة سمع صوت صيحة من آخر الحديقة. ثم أبصر وسط الضوء الخافت، معركة حامية بين الشياطين وعدد من رجال العصابة. فكر: هل ينضمُّ إليهم أو يظل في مكانه يرقب السيارات؟

فجأة وصلت رسالة، عرف أنها من «هدى». كانت الرسالة تطلب أن ينضم إلى الشياطين ويترك أمر السيارات لها. فأسرع بين النباتات إلى حيث تدور المعركة. لكن فجأة ... أحس كأن جبلًا قد وقع فوقه، سقط على الأرض وفوقه كان يَجثم رجل ضخم.

في لحظة، كان الرجل يطير في الهواء، فلقد استطاع «أحمد» أن يضربه بقدميه في صدره بقوة. وقبل أن يسقط على الأرض، كان «أحمد» في انتظاره، بكعب مسدسه. وضربه فسقط بلا حركة.

كانت المعركة لا تزال مستمرة، عندما ارتفعت في سكون الليل صفارات الشرطة، فهدأ كل شيء ... وانسحب رجال العصابة جريًا إلى داخل المستشفى من خلال النوافذ المفتوحة التي نزلوا منها. وفي دقائق كانت الشرطة قد أحاطت بالمستشفى.

تقدم أحد الضباط وخلفه بعض الجنود، فتقدم إليهم «أحمد» مسرعًا، ثم شرح الموقف للضابط الذي ابتسم وهو يقول: إنَّ لدينا بعض التفاصيل.

أسرعوا إلى داخل المستشفى، يفتشون الحجرات. كان هناك بعض المرضى في أسرَّتهم، واتجه «أحمد» إلى المتحف للبحث عن «د. روبرت كيم». وكانت المفاجأة، أنه لم يكن موجودًا. فأسرع يبحث عن التماثيل فلم تكن موجودة هي الأخرى. لقد اختفى تمثالا «د. جاسبروور». فكر قليلًا ثم عاد مسرعًا. وكانت «هدى» قد انضمت إلى الشياطين، فقدمت له الكاميرا.

نظر إلى الضابط وقال: سوف تشاهدون الآن صورة الدكتور «جاسبروور». وفتح الكاميرا، فصاح الضابط: ماذا تفعل. إن الضوء يفسد الفيلم.

ابتسم «أحمد» قائلًا: إنها أحدث كاميرا في العالم ... وهي تعمل بشريط «الفيديو» الذي لا يحتاج إلى تحميض ولا يتأثر بالضوء.

سحب الفيلم من الكاسيت، ثم أعطاه لـ «عثمان» الذي بسطه أمام ضوء المصباح، فانعكست الصورة على الجدران، فظهر تمثالا «د. جاسبروور» العجوز ثم الشاب.

وبدأ البحث ... لم يكن «د. جاسبروور» بين المرضى. وفي النهاية وجدوه مخدرًا وملفوفًا بملاءة بيضاء تحت أحد الأسرَّة وعندما كانوا يَحملونه، كان جنود الشرطة، قد جمعوا رجال العصابة أمام باب المستشفى.

نظر الضابط إليهم، فقال «أحمد» وهو يمدُّ يده إلى اللقاء يا سيدي.

وانصرف الشياطين في خُطى هادئة، يقطعون شارع «بارك» في طريقهم إلى فندق «ذي روز». لقد كانوا يشعرون بالرغبة في النوم، بعد المعارك المتتالية، وبعد إنقاذ «جاسبروور» العجوز ... الذي أصبح الآن، شابًّا في الثلاثين ...

همست «هدى»: هل يفكر «د. جاسبروور» في العودة إلى الشيخوخة على يد «د. كيم» الذي عثروا عليه مقيدًا هو الآخر تحت أحد الأسرَّة؟

ابتسم الشياطين ولم يعلقوا واستمروا في طريقهم إلى الفندق.

هنـــداوي